

عنوان الدرس : القيادة الروحية في المجتمع المسيحي- المحاضرة الاولى

كود الدرس : les_ak_11

الكاتب : د. غسان خلف

وهنا أنا أحصر القيادة الروحية فينا نحن المؤمنين المسيحيين، الذين نلنا اختبار الخلاص والمسيح هو الأول في حياتنا.

إذا موضوعنا اليوم هو القيادة الروحية في المجتمع المسيحي ، والذي يقدر القيادة ويحترمها ويعرف تماما معناها ، ولأننا نعتقد معظمنا في القيادة ، هذا يعني أننا نتعلم كيف نكون في خدمة من نقودهم ، وهذا معني القيادة الأساسي قال الرب يسوع أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل يخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين .

وبهذا القول سجل يسوع أعظم مبدأ وأسمى مبدأ للقيادة الروحية .

لكي أدخل إلى موضوعي أريد أن أقول، أن الكتاب المقدس بالنسبة إلينا كلمة الله يقدم لنا مفهوم القيادة، ومنه نأخذ هذا المفهوم وهذا المبدأ والكتاب المقدس يقدم لنا القيادة في شكل من اثنين ، فالكتاب المقدس يقدم لنا مبدأ القيادة ويقدم لنا ممارسة القيادة معا ، وهذه هي المسألة في الكتاب المقدس ، فلم يقدم لنا مبادئ بمعني نظرية لكنها ضرورية ومعايشة ممارسة قيد التطبيق، عاشها الناس عاشتها المجتمعات فيقدم لنا مفهوم القيادة مختلفة تماما .

ليس مبدأ نظري ، وهناك نماذج داخل الكتاب المقدس ، هل تعرف لماذا يسرى هذا الكتاب إلى قلبك ، ويدخل إلى أعماقك أكثر من أي كتاب آخر، هل تعرف لماذا أقول لك ، لأنه يتكلم عن علاقة الناس بالله ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض أنه حكاية البشر الحكاية عن البشر ، أنه سطر من أجلك بالروح ، إبراهيم، اسحق، يعقوب، صموئيل و الأنبياء ، الناس العاديين ، يسوع الرسل ، التلاميذ .

ليس كتاب أوامر أفعل هذا ولا تفعل ، كالوصايا العشر في شكلها الكامل أنه ليس كتاب الوصايا العشر المنقوشة على الحجر ، هو كتاب الوصايا التي لا تعد المحفورة في قلوبنا اللحمية ، والتي معدة لليوم للواقع، للحياة المعاشة .

فأنت عندما تقرأ في كتابك فأنت تقرأ عن أشخاص يشبهونك في نجاحاتهم وفي فشلهم وفي قوتهم الروحية ، وفي ضعفهم وفي كمالهم ومحدوديتهم وأنت ستقرأ الآن ، تدرك أنهم يشبهونك في كل شيء ، تتعجب وتقول أن لي رجاء وأن الله يستطيع أن يدريني حتى يوصلني ويؤهلني ، ما أحلاك يا كتابي المقدس ما أحلاك يا كلمة الله .

إذا فالكتاب المقدس يقدم لنا مفهوم القيادة نظرياً وتطبيقياً يقدم لنا مبدأ القيادة ويقدم لنا قيادة معاشية ، وقيادة مطبقة بشكل بسيط كي أوضح موضوعي خلق الله الإنسان ، وقال له أشرف على هذا الكون الذي صنعتك فيه أي وضع الله آدم في جنة عدن ليعملها وليحفظها ، الله يقول له اعتنى بهذه الوكالة ، اعتنى بهذه الأرض التي وضعتك عليها وكبلاً بالنبياة عني ، أنت سيد عليها أنت سيد الخليقة أضحك هنا .

وكل التاريخ هو قصة كيف يسود الإنسان على هذه البؤرة التي نحن عليها ، ويبدو أنه بعد كل هذه السنين التي كان الإنسان وكبلاً فيها ، لابد أن نعرف هل كان جيد من جهة هذه الوكالة ، هل عمل حسناً في وكالته ، ما الذي يقوله التاريخ هل عاش هذا الإنسان وكبلاً صالحاً .

عندما يتكلم التاريخ هل نجد مساحات السلام فيه أوسع أم مساحات الحرب، ترى ماذا يكون الجواب.

وفى الكتاب هناك صور للقيادة وعندما أقول صور القيادة بمعنى أنه ، عندما ترسخ لدينا هذه الصور ، يصبح لدينا نماذج للقيادة من مفهوم كتابي ، والروح القدس يرسخ هذا المفهوم في حياتنا حسب وجهة نظر الكتاب ، والقلوب المطيعة لله تأخذ هذا التعليم وتعيشه تلقائياً ، فهذه هي مهمة الروح القدس فينا فهو يجعلنا نلقائياً لتعليم الكتاب المقدس ، من هم أبناء الله هم الذين ينفقون بروح الله ، ينفقون قيادة يقودهم الروح القدس .

نحن لدينا الصورة الأسمى الإله الواحد الثالث الأقدس ، سنتحدث عن علاقة الأقانيم الثلاثة بعضهم ببعض ، هناك أجمل مثال للقيادة وإذا رغبتنا أن نكون مثل الله ونطيع الله ، يجب أن نعرف عن الله من هو ، خاصة في طبيعته اللاهوتية طبيعته الثالوثية ، علاقة الأب والابن والروح القدس بعضهم ببعض .

أحبائي الأقانيم الثلاثة هم في انسجام كامل ، الله الأب هو المصدر ، الابن يولد من الأب ، والروح القدس ينبثق من الأب ، والابن والروح القدس مع الأب أزليون ، عندما أقول الابن مولوداً من الأب ، لا يعني أنه كان هناك وقت لم يكن الابن موجوداً ، ثم جاء للوجود من خلال الأب ، لا يوجد شيء بهذا المعنى ، المعنى أن الابن كامن في الأب ويولد منه ، والروح القدس كامن في الأب وينبثق منه ، كما يخرج النور أو الشعاع من الشمس .

إذا هناك كينونة للأب وظهور لهذه الكينونة ، والابن أزلي والروح القدس أزلي ، لأن كلاهما صادر من الأب الأزلي ، يكمنان في الأب والابن يولد والروح القدس ينبثق ، والآن ما علاقة الأقانيم بعضها بعض .

نحن نسمي الله الأب ، ونسمى يسوع المسيح الكلمة الأزلي المولود من الأب نسميه الكلمة ، وهذه التعاليم أخذناها نحن أبناء الأرض من ملاحظتنا للأباء والأبناء وكيف يولدون ، وكيف يعتني الأب بالولد ، وكيف يحترم الولد الأب ، وعمق هذه العلاقة والحميمة ، ونحن أخذنا هذا النموذج ونحاول تطبيقه على الله ، وكل هذه محاولات منا لوصف هذه العلاقة .

كما أننا نحكى عن جهنم ونصفها بكلمات دنيوية ، مثل نار لا تطفأ وصرير الأسنان وهي خارج هذا الإطار، لكنها هي أرفع من ذلك بكثير ، وبالمثل نستخدم كلمات أرضية لوصف السماء التي ما نظرتها عين ، وأنا أعتقد أن السماء أجمل بكثير .

وهكذا عندما نصف أمور الله ، فعندما نتكلم عن أن الأب يلد الابن ، والروح القدس ينبثق ، أنا استخدم أفضل أداة لدى من قاموسي الأرضي ، لوصف أمور أسمى وأعمق جداً ، لكن هذه التعبيرات الأرضية التي استعملها تقرب المفاهيم إلى ذهني فأستطيع فهمها .

ومن هنا أقول أن الله له لقب هو الأب ، ويسوع المسيح الكلمة الأزلي له لقب وهو الابن ، وعندما يكون هناك أب وابن فالابن يخضع للأب ، هل قرأ أحدكم في الكتاب المقدس عبارة أن الابن يرسل الأب ، ولكن يوجد عبارة أن الأب يرسل الابن ، ومن هنا أصل بفهمكم أن الابن يخضع لأبيه .

والآن أسألك هل ترغب أن تكون مثل الابن في خضوعك للأب. أمين

والآن لا نستطيع أن نكون متمردين على الله والابن مقيم فينا ، وأن كان الابن يقيم فينا فهو يخضع لإرادة الأب ، ولهذا فنحن عندما نتمرد على الله ، فنحن نقول ليسوع الموجود فينا أخرج من حياتنا لساعة أو ساعتين ، حتى أتمرد على الأب ، لأنك موجود في داخلي لا أستطيع أن أتمرد على الله ، هل هكذا تفعل عندما تخطف ، عندما نرغب في الخطيئة ، عندما نريد أن نمارس شيئاً يستهويننا شيئاً لا يرغب فيه ابن الله الساكن فينا .

الابن يخضع للأب ، وهكذا نحن نخضع للأب لأن الابن يقيم الآن فينا ، يقول بولس الرسول مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فينا ، إذا المسيح يقيم في داخلي ، وإذا كان المسيح يقيم في داخلي فإذا المسيح يفعل مشيئة أبيه .

هنا جمال القيادة، هنا يطاع يسوع لماذا يطاع لأنه أطاع، وأنت إذا كنت مسئول عن جماعة، هناك جماعة تحت إرشادك، فهذه الجماعة تطيعك عندما تطيع أنت الكلمة، وعندما لا تطيع الكلمة لا تطيعك جماعتك، فكما نطيع نحن نطاع.

الروح القدس المنبثق من الأب هو يطيع الأب ويطيع الابن ، الابن يصعد إلى يمين الله ويرسل الروح القدس فيأتي إلينا ويبارك حياتنا ويملأنا .

وأنا أحدثكم عن طاعة وخضوع الابن كالكلمة الأزلي، أما الآن أريد أن أكلمكم عن خضوع الابن الكلمة المتجسد، هذا الذي جاء مطيعاً للأب وبذل نفسه لأجلنا، فقد أتى وصار إنسان والكلمة صار جسداً وحل بيننا، كيف عاش هنا على الأرض.

إذا نظرت أنا إلى علاقة يسوع بالله الأب خلال وجوده على الأرض ، نجدها علاقة أطاعة تامة وفي أحد المرات صلى يسوع ، وقال يا رب أنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي ، لأنني في كل حين أفعل ما يرضيك ، وهذا ما كان يفعله يسوع ، طوال حياته على الأرض ، وكان يفعل كل ما يريد الله .

ومن أكبر الأزمات التي واجهت يسوع على الأرض هي مسألة الصليب ، ليس من كونه موت ، ولكن من كونه لعنة ، فالمسألة كانت كيف يصير القدوس صورة للخطيئة ، ومحسوباً لعنة ، فالنص يقول في العهد القديم ملعون كل من علق على خشبة ، ملعون من ملعون من الله ، بكلمة أخرى من يعلق على خشبة هو تحت لعنة الله ، يالهول الحكم أن يكون الإنسان تحت اللعنة من الله .

من غير المعقول أن يكون يسوع نجس ، ومن هنا كان الصراع ، والقول لبيتك تجيز عني هذه الكأس ، هو لا يتحدث عن الموت بل عن اللعنة ، ولهذا نجد الرسول بولس يقول أن الله جعل من لم يعرف خطيئة خطيئة من أجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه ، أنت لا تملك الجراءة أن

تقول عن يسوع أنه صار خطيئة ، لكن الوحي يقول ذلك عنه ، لأننا تحت اللعنة يسوع صار لعنة كي يرفع عنا اللعنة ، وتكون لنا بركة إبراهيم ، كم تشكر الرب على ذلك هل تذرف الدموع ، هل تقدر حجم الأزمة التي مر بها ، حتى أن العرق صار يتساقط كقطرات دم منه ، وكان مكتئب ومقهور ، ورغم ذلك قال بعد عبارة أعبّر عن هذه الكأس ، قال لئلا لا مشيئتي بل مشيئتك ، لئلا لا إرادتي بل إرادتك ، أطاع يسوع الله في كل شيء ومات على الصليب بدلاً عنا .

وعندما حمل خطايانا ، جاء بره إلينا ، فصرنا محسوبيين أبراراً أمام الرب ، وجاء بره إلينا كهبة نشكر الله على هذه الحياة التي أعطانا إياها .

وكانت علاقة الله الأب بالابن المتجسد علاقة الخضوع التام، وأطاع طاعة كاملة حتى الموت، لأنه هكذا كانت أرادة الله أن يموت المسيح.

وإذا نظرنا لعلاقة الابن المتجسد بوالديه الأرضيين مع يوسف ومع مريم ، نقرأ في أنجيل لوقا أن يسوع كان يمضى الوقت في الهيكل ، يتكلم مع المعلمين ويسألهم ، وبالنسبة لوالديه يقول وكان خاضعاً لهما ، ونرى في افتتاحية أنجيل يوحنا يقول أن كل شيء به صار وبغيره لم يكن شيء قط ، وأن الله خلق كل شيء بواسطته ، ويوسف مريم به خلقا ، وهو سبب وجودهما ، وفي تجسده كان خاضعاً لهما .

ما أجمل عبارات الكتاب ، كان به العالم ولم يعرفه العالم ، إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ، العالم كان به ولم يعرفه العالم ، هذا العالم جاء إلى الوجود بواسطته لم يعرفه العالم ، ورغم أنه هو السبب في وجود يوسف ومريم يقول الكتاب أنه كان خاضعاً لهما .

أعود إلى المبدأ من يتعلم الخضوع لغيره ، يعلم الناس الخضوع له ، يسوع يأمر فيطاع لأنه أمر فأطاع .

وأسالكم عن الخضوع للحكومة ، هل أطاع الحكومة أليس هو رب الحكومات ، أليس هو الذي أوجدها هل يقوم سلطان أو ينزل إلا باسمه ، لكنه قال لبطرس أذهب إلى البحيرة وأصطاد سمكة وأحضر الأستار ، وأدفعه ضريبة عني وعنك ، أندفع الجزية لقيصر ، أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، إذا أعطوا لقيصر ما لقيصر ، إذا كان خاضعاً للحكومة خاضعاً للترتيب الذي يديره الناس في هذه الدنيا .

وهل خضع للحاكم ، كان أمام بيلاطس وكان يقول أن بإمكان أبي أن يرسل جيش من الملائكة ، لكن لم يكن لك على من سلطان ، فيبلاطس كان له سلطان على يسوع المتجسد ، ولأن بيلاطس يملك أن يعفو عنه أو يعدمه ، فقال له لم يكن لك على من سلطان ، لو لم تكن قد أعطيت من فوق .

ونحن نطيع الحكومة والحاكم لأننا نؤمن أنه مرتب ، من قبل الله ، الله له اليد الأولى في وجوده ، إذا ندرك هنا أن الابن من خلال وجوده على الأرض كان يخضع ويطيع .

وإذا تطرقت لعلاقة المسيح بالكنيسة، فهناك مبدأ أريد أن أضعه قبل أن أتطرق في تعليمي أكثر أن دور يسوع على الأرض انتهى بميلاد الكنيسة، وأرجو أن أكمل هذا التعليم في الحلقات القادمة.

أما الآن فما أريد أن أؤكد عليه هو أن يسوع مثالنا في الخضوع وفي القيادة ، وإذا كنا نطيع يسوع فنحن نعرف الآن على أي أساس نطيعه ، نطيعه ليس لأنه جالساً على كرسيه العاجي ويأمرونا ، لكنه وهو المعلق على الصليب ، يطلب منا أن نطيعه ، أن سر قيادته هو حبه العميق لكل واحد منا ، لولا ذلك ما كنا نطيعه ، نحن البشر المغروس فينا التمرد ، لا نحب أحد يأمرنا هذه طبيعتنا ، فعرف الرب كيف يدجننا ، والله لا يقدر أن يدجننا إلا بالمحبة ، وقدر علينا . آمين.